مجموعة الأسماء الحسنى المتعلّقة بصفة الوحدانية

بعدما استعرضنا الأسماء الحسنى المتعلقة بصفة مخالفة الله تعالى لمخلوقاته، نذكر مجموعة الأسماء الحسنى المتعلقة بصفة الوحدانية.

85 ـ الوَاحِد

معنى الوحدانية

إننا حين ننطق بكلمة التوحيد ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وحين نَصِفُ اللَّهَ تعالى بالوَحْدَانية فإنما نعني بذلك: أنه لا مَعبودَ بِحَقٍّ في الوجود إلا الله، ولا إلٰه يُطاع غيرُه، ولا خالِق سواه، فهو الواحد المطلق في ذاتّه وصفاته وأفعاله، الذي لا شريك له، لا في ربوبيّته وألوهيته، ولا في ذاته وصفاته وأفعاله جلّ وعلا.

والمُراد بوحدانية الذات: انتفاء وُجودِ ذاتٍ أخرى كذاته سبحانه، وانتفاء تعدّد ذاته تعالى، أي عدم قبولها للانقسام أو عدم تركيبها من أجزاء، أي إن ذاته واحِدَةٌ من غير تركيب، ولا تعدُّد بحيثُ يكون هناك إلٰه ثانٍ شريكٌ معه.

والمُرادُ بوحدانية الصفات: انتفاءُ أن يكون لغَيْرِه صِفَةٌ مِن صفاتِهِ سُبحانه، فليس لغيره عِلْمٌ كَعِلْمِهِ، أو قُدْرَةٌ كَقُدرته، وانْتِفاءُ أن يكونَ له صِفتان متماثلتان، أو مِن جنس واحد، فيمتنع أن يكونَ له عُلومٌ مُتَعَدِّدَةٌ بحسب المعلومات، بحيث يتمّم بعضُها بعضاً، بل علمه واحد، وهكذا في بقيّة الصفات.

وأمّا الوَحْدانية في الأفعال: فيُرادُ بها انفرادُه تعالى بإيجاد جميع الكائنات، وامتناع إسناد التأثير لغيره تعالى في شيء مِن الممكنات، فهو سبحانه يتصرَّف في ملكه وحده دون أن يشارِكه أحَدٌ في فعل مِن أفعالِه، ودون أن يكون لأحَدٍ غيرِه فعل كفعله سبحانه وتعالى، كالخَلْقِ، والرِزْقِ، والإحياءِ، والإماتة.

أهمية الوحدانية: الوَحدانية هي الركيزة الأولى التي يقومُ عليها الإيمان الصحيح باللَّهِ سبحانه وتعالى، وهي ركيزةٌ أساسيَّةٌ كبرى تُمَثِّلُ أعظَمَ حقيقةٍ من

obeikandl.com

الحقائق المَبْثُوثَة في هذا الوُجود، بل إنها تُهَيْمِنُ على الحقائِق جميعاً، لذلك كثر التنبيه إليها في القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163] وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: 18]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: 73]، وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: 19]، فَجعل العِلمَ كله فيها، وقد أرسل اللّهُ رُسُلَه جميعاً إلى البشر لِيَدْعُوهم بدعوة واحدة. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25].

أقوال المفسرين

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1 ـ 4]، فالله سبحانه هو الـ ﴿أَحَدٌ﴾ بما يعنيه ذلك من وَحْدَانية وتَفَرُّدٍ في ذاته وصِفاته وأفعاله. وهو ﴿الصَّمَدُ﴾ الغني في ذاته وصفاتِه غِنىً تاماً، وهو الذي يَقْصِدُه ويَرْتجيه العِبادُ لِحاجَتِهم وافْتِقارِهم إليه في كافة الأحايين. وأنه ﷻ لم يَنْبَثِقْ عنه ولدٌ، كما لم يَنْبَثِق عن غيره، فهو ليس محتاجاً للبنين والحَفَدَةِ ولا للصواحِبِ والخلائِق، فإن ذلك مِن شأنِ العِبادِ بما يُخالِطُهم من ضعفٍ ونقْصٍ، وأنه سبحانه مُنَزَّهٌ عن النقائص والتفريع والولادة لِتَفَرُّدِهِ بالإلٰهيَّة الكامِلَةِ، والكمال المُطلق. وهو سبحانه ليس له في الوُجودِ نِدٌّ يُكافِئُه في شأنه وجَلَالِةِ قَدْرِهِ وصِفاته؛ لأنه أَعْظَمُ من كُلِّ عَظيمٍ، وأَكْبَرُ مِن كُل كَبير، فلا يُسَاوِيه ولا يُشارِكُه ولا يُدانيه فيها أَحَدٌ، وهكذا جمعتْ سُورَةُ الإخلاص، على وَجازتها وسهولتها وبساطتها، الوَحْدانية المطلقة، وحدانية الذات والصفات والأفعال، ومن الأسماء الحسنى التي تعود لصفة الوحدانية (الواحد، الأحد).

معنى اسمِ اللّهِ (الواحد)

الواحد هو الفرد الذي لم يزل وَحْدَه لم يكن معه شريك، فهو وحْده واجبُ الوُجود في ذاتِهِ وصفاته وأفعاله، وهو وَحْدَهُ المُسْتَحِقّ للعبادَة. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص: 65، 66].

أقوال العلماء في تفسيره

يقول الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه «المقصِد الأسنى في شرح أسماء اللَّهِ الحسنى»: (الواحِدُ هو الذي لا يتجزّأ ولا يَتَثَنَّى؛ أما الذي لا يَتَجزَّأ فكالجوهر الواحد الذي لا ينقسم، فيُقال: إنَّه واحِد، بمعنى أنه لا جُزْءَ له، وكذا النقطة لا جُزْءَ لها، واللَّهُ تعالى واحِدٌ؛ بمعنى أنه يستحيل تقدير الانْقِسَامُ في ذاته.

وأما الذي لا يَتَثَنَّى، فَهُوَ مَن لا نَظيرَ له كالشمس مَثلاً؛ فإنها وإنْ كانت قابِلَةً للانقسام بالوهم، مُتجزِّئَةً في ذاتها؛ لأنها مِن قبيل الأَجْسام، فهي لا نظير لها، إلا أنه يمكن أن يكون لها نظير.

فإن كان في الوُجودِ مَوْجُودٌ يَنْفَرِدُ بخصوص وُجُودِهِ تَفَرُّداً لا يُتَصَوَّرُ أَنْ يُشَارِكَهُ غيرُه، فيه أَصْلاً، فهو الواحِد المُطلَقُ أَزلاً وأبداً). انتهى كلام الغزالي.

ويقول الإمام مجدُ الدين ابنُ الأثير الجزري الشافعي في كتابه: «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماء اللَّه تعالى: الواحِدُ، هو الفَرْدُ الذي لم يَزَل وَحْدَهُ، ولم يكُنْ معه آخر. قال أبو منصور الأزهري محمد بن أحمد الإمام اللغوي (ت 370 هـ) في كتابه «تهذيب اللغة»: (الفرقُ بين الواحِدِ والأَحَد: أن الأَحَدَ بُنِيَ لنَفْيِ ما يُذكَرُ معه مِنَ العَدَدِ. تقول: مَا جَاءَنِي أَحَدٌ، والواحِدُ اسْمٌ بُنِيَ لُمفْتَتَح العَدَدِ، تقولُ: جاءَنِي واحِدٌ مِن الناس، ولا تقول: جَاءَنِي أَحَدٌ، فالواحِدُ مُنْفَرِدٌ بالذاتِ في عَدَمِ المِثلِ والنَظِير، والأَحَدُ مُنْفَرِدٌ بالمعنى). انتهى كلام الأزهري.

وقيل: الواحِدُ هو الذي لا يَتَجَزَّأ ولا يُثَنّى، ولا يقبلُ الانقِسَام، ولا نظيرَ له ولا مِثلَ، ولا يجمَعُ هٰذين الوَصْفَيْن إلّا اللَّهُ تعالى.

أخرج الإمام أبو موسى المديني في «المجموع المغيث في غريبَيْ القرآن والحديث»، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، أنه قال: «**إنّ اللَّهَ تعالى لم يَرْضَ بالوَحْدَانِية لأَحَدٍ غيْرِه، شِرارُ أُمَّتِي الوَحْدَانِيُّ المُعْجَبُ بدينه المُرائي بعمله**»، يُريد بالوَحْدَانيّ: المُفَارِقُ للجماعَة، المُنْفَرِدُ بنفسه، وهو منسوبٌ إلى الوَحْدَةِ من الانفِرادِ، بزيادة الألف والنون للمُبالغة) انتهى كلام ابن الأثير الجزري.

86 ــ الأَحَدُ

معناه

أي المُنْفَرِدُ، وهو كالواحد، وقد ورد في بعض روايات الحديث الجامع لأسماء الله الحسنى أنه منها، وهو مِنَ الأسماء الوَاردة في الشرع قطعاً، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الصمد: 1]، وقد ورد في موضع واحِد من القرآن الكريم، هو هٰذا.

الدليل على وحدانية الله

أما الدليل النقلي: فقولُه تعالى في مُحكم كتابه الكريم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الصمد: 1]، وقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: 19]، وقولُه تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: 18]، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: 163]، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدلّ على وحدانيةِ اللّهِ، وترشِدُ العِبَادَ إلى إفْرَادِهِ بالعبادَةِ وحْدَه.

وفي السُنَّة النبوية ما أخرجه الإمام البخاري في أوّل كتاب التوحيد من «صحيحه» (9/ 140) بسنده إلى ابن عبَّاس ﷺ قال: لمّا بَعَثَ النبيُّ ﷺ مُعاذاً نَحْوَ اليَمَن قالَ له: «**إنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْم مِن أَهْلِ الكتابِ، فَلْيَكُنْ أَوّلَ ما تَدْعُوهُم إلى أن يُوَحِّدُوا اللَّهَ تعالى، فإذا عَرَفُواْ ذلك، فَأَخْبِرْهُم أن اللَّهَ فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَواتٍ في يَوْمِهِم وَلَيْلَتِهِم، فإذا صَلُّوا فأخبِرْهُم أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عليهم زكاةً في أَمْوالهم تُؤْخَذُ مِن غَنِيِّهم فَتُرَدُّ على فقيرهم، فإذا أَقَرُّوا بذلك فَخُذْ مِنْهُم، وَتَوَقَّ كرائِمَ أموال الناس**».

وأخرج أيضاً بسنده إلى معاذ بن جبل قال: قال النبيُّ ﷺ: «**يا مُعَاذ! أَتَدْرِي ما حَقُّ اللَّهِ على العِبادِ؟** قالَ اللَّهُ ورسولُه أَعْلَمُ، قالَ: «**أن يَعْبُدُوه وَلاَ يُشْرِكُوا به شيئاً، أتَدْرِي ما حَقُّهم عليه؟**» قالَ: اللَّهُ ورسولُه أعْلَم، قال: «**أن لا يُعَذِّبَهم**»، أي إن هم وحَّدوه بالعِبادة وأدُّوا حَقَّه.

وأخرج بسنده إلى أبي موسى الأشعَرِيّ قال: قال النبي ﷺ: «**ما أَحَدٌ أَصْبَرُ**

على أَذَى سَمِعَهُ مِن اللَّهِ، يَدَّعُونَ لهُ الولدَ، ثم يُعافِيهم ويَرْزُقُهُم».

وأما الدليل العَقْلِيُ: لو نظرنا إلى الساعَة التي تشير إلى الوقتِ، لوجدناها تتركَّب من أجزاءَ متفرِّقة تتعاون كلها لأداء وظيفة واحدة، وإنَّ وَحدانية الخالق في ذاته حقيقةٌ تَتَجَلَّى لِلعَقْلِ والبَصِيرَةِ على نَحْوِ بَيِّنٍ مَكْشوفٍ، وهي حقيقة نستلهمها في غير ما صُعوبَة من خِلالِ وَحْدَةِ الخَلْق، وَوَحْدَة النظام، ووَحْدَة الغايَة والهَدَف في جَميع الأشياء والكائِنات، كالسَّاعة تماماً.

فكلُّ ما في الكوْن من خلائِق وعَوَالِمَ تتشابَهُ في التركيب والنِظام، وكلُّها مِن ثَمَّ تتعاضَدُ وتتسانَد لأداءِ وَظيفةٍ كَوْنِيّةٍ واحِدَةٍ من خلال قانونٍ دقيقٍ شامِلٍ. وكلُّ ما فيه مِن أُمورٍ وأشياءَ تجري في نَسْقٍ مُطَّردٍ عُجَابٍ، دون خَلَلٍ أو اضطرابٍ أو فسادٍ في أرضه وسمائه، في حركة نجومه وكواكبه، في وَحْدَةِ نظام مَجَرّاتِه، في كلِّ جامِدٍ أو مُتَحَرِّكٍ، في كل نامٍ أوْ ذِي حَيَاةٍ، في ترابُطِه بعضِهِ ببَعْضٍ ترابُطاً تاماً مع أن كلَّ جُزْءٍ فيه يَعْمَلُ في نِطَاقِهِ ومَجالِهِ، دونَ أن يكونَ عَمَلُه هٰذا سَبباً في فسادِ عَمَلِ أيِّ جُزءٍ مِن الأجزاء التي لا حَصْرَ لها في هٰذا الكونِ الكبير، فلا شَكَّ أن ذلك كلَّه لَيَدُلُّ أَبْلَغَ دِلالَةٍ على أنَّ الخالِقَ المُهَيْمِنَ على الكَوْنِ كُلِّهِ واحِدٌ، وأنَّهُ لو كان مُتَعَدِّداً لتبايَنَتْ قَوانينُ الكَوْن وَلَتعارَضَتْ، ولانْتَهَى الأَمْرُ إلى التَّصَادُمِ والفَسَادِ في الكَوْنِ.

أمّا عُلماءُ التوحيد فَقَدْ ذَكَرُوا فروضاً عِدَّة لِنَفْيِ التَعَدُّد في الأُلُوهِيَّة، وهي في جملتها تقرير لبعض الحقائق التي لا مِراءَ في ضَرُورَة توفُّرِها لِمَن يجب اعْتِبَارُه إلٰهاً.

فلو كانَ مع الله إلٰهٌ آخَرُ فما هو مَوْقِفُه منه؟ بلْ أوّلاً ما هي مَنْزِلَتُه منه؟

إنْ كانَ دُون مَنْزِلَتِهِ ومكانته سَقَطَتْ أُلوهِيَّتُهُ.

وإن كان أعْلَى منه فهو أَحَقُّ منه بالأُلُوهِيَّة.

وإنْ كانَ مِثْلُهُ فما هي الحُدُودُ والفَواصِلُ بَيْنَ عَمَلَيْهما واختِصاصَيْهما؟ وكيفَ يَنْفُذُ مُرادُهُما مَعاً في الإحياءِ والإماتَةِ، والإشْقاءِ والإسْعاد وغير ذلك.

فإنه إن اتّفقا فلا يُمكن أن يُوجِدا الكونَ معاً، لِئَلّا يلزمُ اجتماعُ مُؤثِّرَيْنِ على أَثَرٍ واحِدٍ.

ولا يمكنُ أن يُوجِداهُ مُرَتّباً، بأنَ يوجِدَه أَحَدُهُما، ثم يُوجِدُه الآخَرْ، لِئَلّا يَلْزَمُ تَحْصِيلُ الحاصِلِ، وتحصيلُ الحاصِلُ مُحالٌ.

ولا يُمكنُ أن يُوجِدَ أَحَدُهما بَعْضَ الكونِ والآخَرُ بَعْضَهُ الآخَرَ؛ لأنه إذا تعلّقت قدرةُ أَحَدِهما بالبَعْضِ سَدَّ على الآخَرِ تَعَلُّقَ قُدْرَته به، فلا يَقْدِرُ على مُخالفَتِهِ، فيكونُ الإِلٰه الآخَرُ مَقْهُوراً مَجْبُوراً، أي دون مَنْزِلَتِهِ ومكانته، وهٰذا عَجْزٌ مُنَاف للألوهِية، وهٰذا البرهانُ يُسَمَّى: بُرهانَ التَوارُدِ.

أما إنْ اختلفا بأَنْ أَرَادَ أَحَدُهُما إيجادَ شيءٍ مِنَ الكون، وأرادَ الآخَرُ إعدامَه؛ فإِمَّا أنْ يَنْفُذَ مُرادَهُما مَعاً فَيَجْتَمِعُ النقيضانِ، وهو مُحالٌ، أو أن يَنْفُذَ مُرادُ أَحَدِهما، فيظهر عَجْزُ الآخَرِ وهو مُنافٍ للألوهية، أَوْ يَتَصادَمَا ويَتَنازَعا فلا يُوجَدُ هٰذا ولا ذاك، فيظهرُ عَجْزُهُما معاً، ولو حصل ذلك فعلاً لَتَمَخض عنه فسادُ الكونِ واختلالُ نِظامِه. على أنّ نظامَ الكونِ لم يطرأ عليه فَسَادٌ في سَمائِه أو أرضه، وسُننُ الكونِ المُطَّرَدَةُ قاطِعَةٌ بِصُدُورِها عَنْ إلٰهٍ فَرْدٍ أَحدٍ صَمَدٍ، ويُسَمَّى هٰذا البُرهانُ: بُرهانَ التمانُع، لِتمانُعِهما واختلافهما.

ومن أروع البَراهين التي يُسْتَدَلُّ بها في هٰذا الصَدَدِ قول اللّهِ تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: 91]، أي إنَّ اللّهَ تعالى لو كانَ معه إلٰهٌ آخَرُ يُشارِكُه في الألوهيَّة، ويَخْلُقُ معه لَذَهَبَ كلُّ واحِدٍ مَذهَباً خاصاً به في الخَلْقِ، وهٰذا يؤدِّي إلى تنافُرِ المخلوقات، وإلى وُقوع الخَلَلِ والاضطراب وفسادِ الكونِ وتَدْمِيرِهِ بالضرورة كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: 22]، كما يؤدِّي إلى طَلَبِ هؤلاء الآلِهَةِ مُغالَبَةَ اللّهِ ومُزاحَمَةَ ذِي الجلال طلباً لِسِعَةِ المُلْكِ؛ مما يُفْضِي كذلك إلى فَسادِ الكون، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء: 42].